

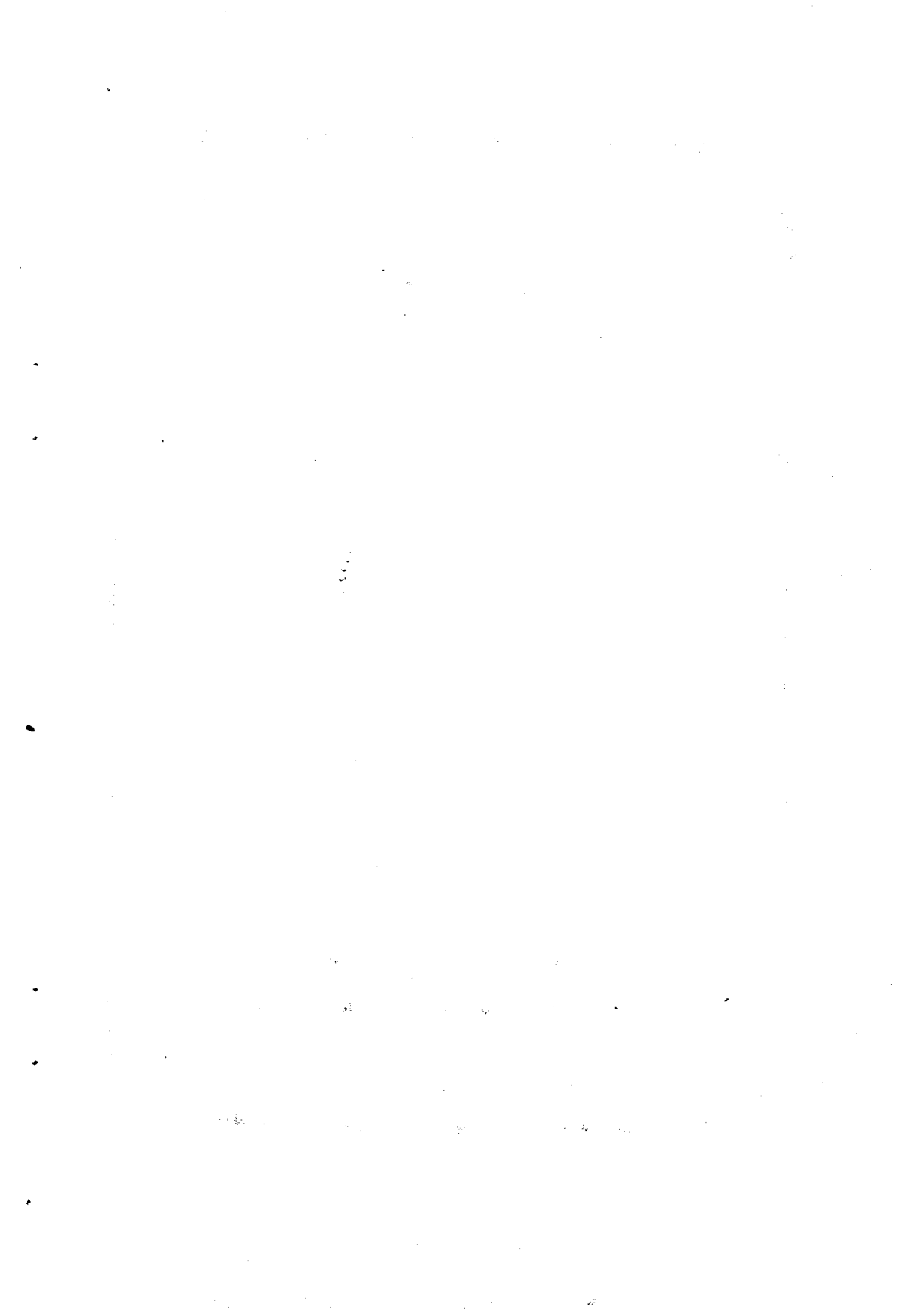
أفضلية المرأة عند ابن عربي

الباحثة / هالة عبيد محمود

إشراف

دكتور / محمد سلامة عبد العزيز

دكتور / زين العابدين عبد البصير خطاب



أفضلية المرأة عند ابن عربي

الباحثة/ هالة عيد محمود

إشراف

دكتور/ محمد سلامة عبد العزيز

دكتور/ زين العابدين عبد البصير خطاب

كلية دار العلوم - جامعة المنيا

تقديم :

حفلت مصنفات ابن عربي بما يؤكد على اعتداده بالمرأة وإعطائها مرتبة تليق بها. وقد قدم هذا الصوفي لما يستند إليه في المكانة التي أولاها للمرأة، كما حدد لها أفضلية على الرجل فيما يتعلق ببعض المسائل.

وفي هذا الفصل من فصول الدراسة، والذي خصص لقضية أفضلية المرأة عند ابن عربي، تتناول الباحثة ثلاثة مسائل رئيسية هي على النحو التالي:

- ١- ما يستند إليه ابن عربي في إعطائه للمرأة مكانتها .
- ٢- صور تفضيل المرأة على الرجل عند ابن عربي.
- ٣- صور تفضيل الرجل على المرأة عند ابن عربي.

المبحث الأول

ما يستند إليه ابن عربي

في إعطاء المرأة مكانتها

لقد اهتم ابن عربي كثيراً بمسألة التفضيل بين الرجل والمرأة، هذا في حال تصوفه، وقد يكون التفضيل في نص واحد، مرة يقدم المرأة، ومرة يقدم الرجل.

وقد مرَّ ابن عربي نفسه بحال تغير فيها موقفه من النساء، فقد كان ابن عربي في بداية أمره، وأول دخوله إلى التصوف، يكره النساء والجماع، وبقي على ذلك نحواً من "ثمان عشر سنة" إلى أن وقف على الخبر النبوي أن الله حبيب النساء لنبيه ﷺ، فما أحبه طبعاً ولكنه أحبهم بتحبب الله إليه، ويضيف الشيخ محيي الدين فيقول: فلما صدقت مع الله في التوجه إليه تعالى في ذلك من خوف مقت الله، حيث كنت أكره ما حبه الله لنبيه أزال عني ذلك بحمد الله، وحببهن إلي، فأنا أعظم الخلق شفقة عليهن وأدعى لحقهن لأنني في ذلك على بصيرة، وهو عن تحبب لا عن حب طبيعي^(١). فحب النساء عند ابن عربي هو ميراث نبوي وحب إلهي^(٢).

غير أن الله تعالى "قد شرك بين الرجال والنساء في التكليف، فكُلَّ النساء كما كُلَّ الرجال وإن اختلفت المرأة بحكم فلا يكون للرجل فقد يختص الرجل بحكم لا يكون للمرأة"^(٣).

وابن عربي في الحقيقة كثيراً ما كان يذكر التفضيل مطلقاً للمرأة على الرجل، وأحياناً يفضل الرجل على المرأة، ومرة يذكر المساواة بينهما، ومرة تلحق المرأة بالرجل لسبب، والرجل بالمرأة لسبب، حيث يقول: "كملت من النساء مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، فقد أثبت الكمال للنساء كما أثبت للرجال عليهن درجة فما هو هذا الكمال إن كان الانفعال فخذة إلى عيسى عليه السلام. وقال لآدم على النساء

(١) د. محمد علي حاج: شمس المغرب، ص ٢٥٣.

(٢) طه عبد الباقي سرور: محي الدين بن عربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية

١٩٥٥م، ص ٦٢.

(٣) ابن عربي: الفتوحات، نسخة عبد القادر، ج ٣، ص ٨٨.

درجة، ولمريم على عيسى درجة لا على الرجال . فالدرجة لم تنزل بأقية. وبها حاز الرجل الثلث الثاني فكان له الثلثان، فلو وقعت المساواة لكانا في المال على السواء. وقال: تعجب زكريا مما تعجبت منه مريم وسارة فلحق الرجال بالنساء. وثم ما هو أعجب وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير في مقابلة امرأتين^(١).

وقد جعل ابن عربي للنساء اشتراك مع الرجال في جميع مراتب الصوفية، ويظهر ذلك في قوله: "وهكذا كل طائفة ذكرناهم، منهم الرجال والنساء"^(٢)، وقوله: "وما من صفة للرجال إلا وللنساء فيها مشرب"، ويقول أيضاً: وهذه أحوال — يقصد أحوال التصوف — يشترك فيها الرجال، ويشتركان في جميع المراتب حتى في القطبية"^(٣).

أمّا عن الكمال المذكور في الحديث^(٤) ومعناه، فهو محدد عند ابن عربي بأشتراك الإنسان فيه بوجه عام، سواء أكان رجلاً أو امرأة، حيث يقول: "اعلم أن العالم كله لولا الإنسان الكامل ما وجد، وأنه بوجوده صح المقصود من العلم الحادث بالله والوجود الحادث الذي هو على صورة الوجود القديم ، فإن العلم بالله المحدث الذي هو على صورة العلم بالله القديم، لا يتمكن أن يكون إلا لمن هو في خلقه على الصورة ، وليس غير الإنسان الكامل، ولهذا سمي كاملاً ، وأنه روح العالم، والعالم مسخر له علوه وسفله، وأن الإنسان الحيوان من جملة المسخر له، وأنه يشبه الإنسان الكامل في الصورة الظاهرة ، لا في الباطن من حيث التربة ، كما يشبه القرد الإنسان في جميع أعضائه الظاهرة ، فتأمل درجة الإنسان الحيوان من درجة الإنسان الكامل ، وأعلم أنك

(١) ابن عربي : الفتوحات، نسخة عبد القادر، ج٤، ص٤٠٣.

(٢) ابن عربي : الفتوحات، نسخة عبد القادر، ج٤، ص٤٠٣.

(٣) ابن عربي : الفتوحات، نسخة عبد القادر، ج٣، ص٨٨. وانظر علي سود كيفينش: الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي، ترجمة وتقديم: د. أحمد الطيب، دار القبة الزرقاء للنشر والخدمات الثقافية، ص١٠٢.

(٤) وهو حديث، كمل الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران".

العين المقصودة ، فما وجدت الأسباب إلا بسببك لتظهر أنت ، فما كانت مطلوبة لأنفسها ، فإن الله لما أحب أن يعرف ، لم يكن أن يعرفه إلا من هو على صورته ، وما أوجد الله على صورته أحداً إلا الإنسان الكامل" (١).

وقد صرح بمعنى الكمال المذكور في الحديث "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية" ، فقال : " يعني بالكمال معرفتهم بهم ، ومعرفتهم بهم هو عين معرفتهم بربهم (٢) ، فمن وقف على الحقائق كشفاً وتعريفاً إلهياً فهو الكامل الأكمل ، ومن نزل عن هذه الرتبة فهو الكامل ، وما عدا هذين إما مؤمن أو صاحب نظر عقلي ، لا دخول لهما في الكمال فكيف في الأكملية ؟ ولما لم يتمكن أن يكون كل إنسان له مرتبة الكمال المطلوبة في الإنسانية ، وإن كان يفضل بعضهم بعضاً - فأدناهم منزلة من هو إنسان حيواني ، ويشاركه الإنسان الكامل بالصورة الإنسانية ، وأعلامهم هو ظل الله ، وهو الإنسان الكامل نائب الحق ، الذي يكون الحق لسانه وجميع قواه ، وما بين هذين المقامين مراتب (٣).

وقد أورد ابن عربي صور كمال للمرأة تجعلها في مصاف الرجال من حيث المساواة بينهما ، ويمكن للباحثة أن تشير إلى بعض من تلك الصور على النحو الآتي :

أولاً : أن المرأة تستوي بالرجل في الإنسانية ، والاختلاف فقط في الذكورية والأثوثة.

يشير ابن عربي إلى تلك السمة في معرض حديثه عن الكمال الإنساني ، حيث يقول : " فإن الله تعالى علم نفسه فعلم العالم ، فلذلك خرج على الصورة ، وخلق الله الإنسان مختصراً شريفاً جمع فيه معاني العالم الكبير ، وجعله نسخة جامعة لما في العالم ، ولما في الحضرة الإلهية من الأسماء . وقال فيه رسول الله ﷺ : "إن الله خلق آدم

(١) ابن عربي: الإنسان الكامل " القطب المورث الفرد" ، جمع وتأليف: محمود محمود الغراب ، الطبعة

الثانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ،

(٢) ابن عربي: الفتوحات ، السفر ١٢ ، ص ٣٢٩ .

(٣) ابن عربي: الإنسان الكامل ، ص ٢٢ .

على صورته ^(١). فلذلك قلنا خرج العالم على الصورة، وفي هذا الضمير الذي في صورته خلاف لمن يعود لأرباب العقول، وفي قولنا: علم نفسه، فعلم العالم غنية لمن تظن وكان حديد القلب بصيراً، ولكون الإنسان الكامل على الصورة الكاملة صحّت له الخلافة والنيابة عن الله في العالم... فكلّمنا إذاً في صورة الكامل من الرجال والنساء، فإنّ الإنسانية تجمع الذكر والأنثى. والذكورية والأنوثة إنما هما عرضان ليستا من حقائق الإنسانية، لمشاركة الحيوان كلها في ذلك، وإن كان يستدعيها حقائق آخر ^(٢). ويفسر ذلك ابن عربي قائلاً: "إن الإنسانية لما كانت حقيقة جامعة للرجل والمرأة لم يكن للرجال على النساء درجة من حيث الإنسانية، كما أنّ الإنسان مع العالم الكبير يشتركان في العالمية فليس للعالم على الإنسان درجة من هذه الجهة" ^(٣). ويؤكد ابن عربي ذلك مشيراً إلى أنّ هذا القول: "من اعتبر الإنسانية ألحق النساء بالرجال، كما ألحقهن رسول الله ﷺ بالرجال في الكمال" ^(٤).

كما أنّ ابن عربي لم يفته أن يؤكد في أشعاره على تساوي المرأة مع الرجل في صفة الإنسانية حيث يقول:

إنّ النساء شقائق الذكّران في عالم الأرواح والأبدان

(١) والحديث رواه مسلم في صحيحه برقم (٦٨٢١)، ورواه الإمام أحمد في مسنده برقم (٧٣٢٣) و(٧٤٢٠) و(٨٢٩١) وفي هذا ذكر أنّه كان ستون ذراعاً، و(٩٩٦٢) و(١٠٢٧٣)، ورواه غيرهما، واختلف في تفسير نص هذا الحديث على أقوال منها: القول الأول: أنّ الله خلق آدم على صورته هو سبحانه وتعالى، حتى أنّ هناك لفظ "على صورة الرحمن" وهذا اللفظ الأخير أنكره أهل الحديث، لكنّ الذي ذكره فهم من الحديث أنّ الله تعالى خلق آدم على صورة الله تعالى، ويبدو أنّ ابن عربي فهم هذا، والقول الثاني: قالوا: نتركه كما هو فالله على صورة لا كالصور، وهذا أيضاً يدل على عدم فهم الحديث، والقول الثالث: أنّ الله خلق آدم على الصورة التي هو عليها، ولا زالت أطوال الناس تتناقص، فهي أكمل صورة وأتم صورة شرف الله بها ابن آدم، لذلك منع النبي الضرب على الوجه، كما ينكر أهل الحديث.

(٢) ابن عربي: القطب والبقاء وعقله المستوفز، ضمن "رسائل ابن عربي"، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، ص ٧٤-٧٥.

(٣) ابن عربي: الفتوحات المكية، نسخة عبد القادر، ج ٣، ص ٨٧.

(٤) ابن عربي: الفتوحات، السفر السابع، ص ٢٣٦.

والحكم متحد الوجود عليهما وهو المعبر عنه بالإنسان
وتفرقا عنه بأمر عارض فصل الإناث به من الذكuran^(١).

٢- شهادة النبي ﷺ لها بالكمال كما شهد للرجال:

يمكن القول بأن ابن عربي شهد للنساء بالكمال كما هو الحال للرجال، وهو أمر يستنبط من إشارة ابن عربي إلى تساوي الرجل والمرأة في الإنسانية وأن الذكورية والأنوثة ليستا إلا عرضاً فقط، حيث يقول: "وقد شهد رسول الله ﷺ بالكمال للنساء، كما شهد به للرجال، فقال في الصحيح: "كمل من الرجال كثير، وكملت من النساء مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون"^(٢). وإذا كان الحديث الذي ذكره ابن عربي عن النبي ﷺ، كان مقيداً بمن وصلوا إلى درجة الكمال^(٣)، إلا أن ابن عربي عمم نص الحديث ليثبت من خلاله درجة الكمال للنساء كما هو الحال للرجال.

غير أن ابن عربي أكد أن الكمال الأتم لا يكون إلا لرسول الله ﷺ، وبهذا لا تشترك معه في هذه الدرجة امرأة ولا رجل، حيث يقول ابن عربي: "ولقد اختص محمد ﷺ بالكمال الأتم، لأنه جمع استعداد الأبوين آدم وحواء وقد تقرر أنه أعلم الخلق بالله، والعلم بالله لا يحصل إلا بالتجلي والشهود وعينه ﷺ أكمل الأعين، لأنه أكمل العلماء، فأنظره تعالى بعينه ﷺ. وكان القرآن خلقه. فمن أراد أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لم يدركه من أمته، فلينظر إلى القرآن، فإذا نظر فيه فلا فرق بين النظر إليه وبين النظر إلى رسول الله ﷺ، فكان القرآن أنشأ صورة حسية يقال لها محمد

(١) ابن عربي: الفتوحات المكية، نسخة عبد القادر، ج ٣، ص ٨٧.

(٢) ابن عربي: القطب والنقاء، ص ٧٥.

(٣) والحديث الذي قصده ابن عربي هو قول رسول الله ﷺ: "كَمَلْ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمَلْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ"، والحديث رواه البخاري في صحيحه برقم (٣١٥٩)، ورواه مسلم برقم (٤٤٥٩)، والحديث يوضح كمال آسية ومريم وعائشة، ويصدر بأنه كمل من الرجال كثير، ثم جعل الحصر والقصر على هؤلاء الثلاثة، بينما ابن عربي جعل الأمر عاماً وجاء بالنص ليوضح فقط أن المرأة تصل إلى درجة الكمال، ولم يقصد أنت يحصر الكمال فيمن ذكر رسول الله ﷺ، وهذا واضح من مقدمته في الكمال الإنساني.

بن عبد الله بن عبد المطلب، والقرآن كلام الله وهو صفته، فكان محمد صفة الحق تعالى بجملته، فمن يطع الرسول فقد أطاع الله، لأنه لا ينطق عن الهوى، فهو لسان الحق، فيكون محمد ﷺ ما فقد من الدار الدنيا، لأنه صورة القرآن العظيم^(١).

- ومنها حنين العارفين إلى النساء وأخذ الأرفاق منهن، حيث يقول: "وأما النسوان فنظر العارفين فيهن، وفي أخذ الأرفاق منهن: فحنين العارفين إليهن حنين الكل إلى جزئه، كاستيحاء المنازل لساكنيها التي بهم حياتنا. ولأن المكان الذي في الرجل، الذي استخرجت منه المرأة، عمره بالميل إليها؛ فحنينه إلى المرأة حنين الكبير، وحنوه على الصغير"^(٢). فهذا الحنين من جانب العارفين إلى المرأة هو حنين من وجهة خاصة.

"وأما الأرفاق منهن، فإنه يأخذ منهن لهن؛ كما أخذ رسول الله ﷺ حين أمرهن أن يتصدقن، لأنه يسعى في خلاصهن لما رآهن أكثر أهل النار؛ فأشفق عليهن حيث كنّ منه. فهو شفقة الإنسان على نفسه. ولأنهن محل تكوين لصورة الكمال، فحبهن فريضة واقتداء به - عليه السلام - قال رسول الله ﷺ: "حب إلي من دنياكم ثلاث، النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة" فذكر النساء أترى حب إلي ما يبعده عن ربه؟ لا! - والله! - بل حب إلي ما يقربه من ربه"^(٣).

"ولقد فهمت عائشة، أم المؤمنين، ما أخذ النساء من قلب رسول الله ﷺ. وذلك أن الله تعالى لما أنزل في القرآن في حق نساء النبي ﷺ. حين خيرهن فاخترنه، فأراد الله تعالى جبرهن وإيثارهن في الوقت ومراعاتهن، وإن كان بخلاف مراد رسول الله ﷺ، فقال: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾^(٤)، فأبقى عليه رحمة به، لما جعل في قلبه من حب النساء، ملك اليمين. وهذه أشق آية نزلت على رسول الله ﷺ. فقالت: "عائشة: "ما كان الله ليعذب

(١) ابن عربي: الإنسان الكامل، ص ٢٢.

(٢) ابن عربي: الفتوحات المكية، السفر ١٤، ص ٦٧.

(٣) ابن عربي: الفتوحات المكية، السفر ١٤، ص ٦٨.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٥٢.

قلب نبيه ﷺ. والله ما مات رسول الله ﷺ حتى أحلَّ له النساء" (١)... فمن عرف قدر النساء وسِرَّهنَّ لم يزهد في حبهن، بل من كمال العارف حُبهن: فإنه ميراث نبويٍّ وحب إلهي. فإنه قال ﷺ: "حبب إلي"، فلم ينسب حُبَّه فيهنَّ إلا إلى الله تعالى" (٢).. ويقول أيضاً: "وكان رسول الله ﷺ حبيب إليه النساء، وكان أكثر الأنبياء نكاحاً" (٣)؛ لما فيه من التحقق بالصورة التي خُلِقَ عليها" (٤).

ولكنه قصر هذا على العارفين وأهل الكشف، إذ يقول: "فينبغي لكل مؤمن، ويجب على كل مدع في طريق الله، إذا لم يكن من أهل الكشف والوجود والخطاب الإلهي، وممن لا يكون يطفئ نور معرفته نور ورعه. أن يجتنب كل أمر يؤدي إلى شغل القلب بغير الله: فإنه فتنة في حقه. ويجب عليه أن يُغلب عقله على شهوته. بل يجب عليه أن يسعى في قطع المآلوفات وترك المستحسّنات الطبيعية، وما يميل إليه الطبع البشري؛ ويجتنب مواضع التهم.. وكذلك يجتنب.. مجالسة النساء، وأخذ الأرفاق منهنَّ. فإن القلوب تميل إلى كل من أحسن إليها؛ والطبع يطلبهم؛ والقوة الإلهية على دفع الشهوات النفسية ما هي هناك؛ والمعرفة معدومة من هذا الصنف من الناس" (٥).

كأن ابن عربي يرى إذن أن اتخاذ الأرفاق من النساء درجة ينبغي ألا يقدم عليها إلا المتحقّقين من الصوفية، لأنَّ "أغوار النفس لا يدركها إلا فحول أهل الله. فلا تفرح بالالتذاذ بالطاعات ورفع المشقة فيها عنك، دون ميزان القوم في ذلك. فإذا اقترنت هذه الشهوة بصحبة" (٦).. النساء، في الله تعالى، فيما يخيل له أنه في الله تعالى؛ ففي طي هذا التعلق مكر إلهي خفي.. والذي ينبغي له أن يزن به حاله، في دعواه أنه

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢٤١٣٧) و(٢٥٤٦٧)، ورواه النسائي في سننه برقم (٥٣١١)، ورواه الترمذي في سننه برقم (٣٢١٦) وقال الترمذي هذا حديث حسن، وقال الألباني صحيح الإسناد.

(٢) ابن عربي: الفتوحات المكية، السفر ١٤، ص ٦٧-٦٩.

(٣) لا تعرف الباحثة ذلك من القرآن أو السنة، وتعرف من السنة أن نبي الله داود عليه السلام تزوج أكثر مما تزوج لنبي ﷺ بكثير.

(٤) ابن عربي: الفتوحات المكية، السفر ١٤، ص ٦٧-٦٩.

(٥) ابن عربي: الفتوحات المكية، السفر ١٣، ص ٤٨١.

(٦) ذكر ابن عربي بالإضافة إلى النساء صحبة أهل البدع، وصحبة الصبيان الصباح الوجوه.

ما صحب النساء إلا الله، إذا وجدنا المأً ووحشة عند فقدة إيّاهم، وهيجاناً إلى لقائهم، وفرحاً بهم عند إقبالهم. فيعلم عند ذلك أنَّ الصحبة لهذا الصنف معلولة ليست لله، وإن وقعت المنفعة منه للمصحوب، فيسعد المصحوب، ويشقى هذا المحب شقاوتين: الواحدة فقد المحبوب، والأخرى بالجهل وعدم العلم، فيما كان يتخيل أنه علم، وأنه صحب الله وفي الله^(١). فكان ابن عربي يحذر صغار المريدين من صحبة النساء؛ لأنه قد يدخل عليهم في هذه الصحبة ما قد لا يكون لله، أي أن اتخاذ الأرفاق من النساء هو من شأن العارفين المتحققين من الصوفية.

ولذلك فإن ابن عربي يشير إلى أنَّ المتحققين من الصوفية قد حذروا صغار المريدين من صحبة النساء حتى لا يختلط عليهم الأمر الذي ينتبه إليه العارفون، حيث يقول: "واعلموا أنَّ الشيوخ إنما حذروا من أخذ الأرفاق من النساء لما ذكرناه من الميل الطبيعي. فلا ينبغي للمريد أن يأخذ رفقا من النساء... وأما أخذ العارفين فمطلق"^(٢).

- أنَّ النساء يشتركن في العلم بالغيب مع الرجال، يقول ابن عربي: "زيادات العلم بالغيب واليقين. ولها رجال مخصوصون.. فإنهم موقتون: هم عشرة أشخاص، لا يزيدون ولا ينقصون. غير أنهم قد يكون منهم نساء؛ ويؤيدهم "الاسم" و"الرسم"^(٣).

وإشارة ابن عربي إلى علم النساء بالغيب ينبغي أن تفهم في إطار ما يعنيه الصوفية بهذه المسألة؛ فالأمر هان لا يختص بالعلم بمسائل الغيب التي لا يطلع عليها إلا الله تعالى؛ وإنما يرتبط بما يرى الصوفية أنَّ العالم يصل إليه من خلال درجات المعرفة؛ فالعالم عند ابن عربي، من أشهده الله ألوهية ذاته، ولم يظهر على حال، والعلم حاله^(٤)، فالأمر يتعلق هنا بدرجة العالم أو العارف في تمثل صفات الله تعالى،

(١) ابن عربي: الفتوحات المكية، السفر ١٤، ص ٧٦-٧٨.

(٢) ابن عربي: الفتوحات المكية، السفر ١٤، ص ٨١-٨٢.

(٣) ابن عربي: الفتوحات المكية، السفر ١٣، ص ١٩٣، ويقول ابن عربي في تعريفهم؛ الرسم: نعت يجري في الأبد بما جرى في الأزل. والاسم: هو الحاكم على حال العبد في الوقت، من الأسماء الإلهية، عند الوصول. (انظر نفس المصدر، ص ١٩٣-١٩٣).

(٤) ابن عربي: شرح معجم اصطلاحات الصوفية، ص ٦٧، في مصطلح العالم والعلم رقم ١٦٠.

والعمل بمقتضاها، ولا يرتبط بمعنى الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى؛ خاصة وأن ابن عربي يشير في موضع آخر إلى أن "الغيب هو كل ما ستره الحق منك لا منه"^(١).

— أن مراتب الصوفية تكون في النساء كما هي في الرجال، يقول ابن عربي: "الصمت أحد الأركان الأربعة التي بها يكون الرجال والنساء "أبدالاً". قيل لبعضهم "كم عدد الأبدال؟" قال: أربعون نفساً، قيل له: لمَ لمَ تقل رجالاً؟ قال قد يكون فيهم النساء. كما قال عليه السلام في الكمال. فذكر أن يكون أيضاً في النساء، وعينَ منهنَّ مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون " ^(٢).

ومن الواضح أن ابن عربي يجعل للمرأة مكانة متميزة في مراتب التصوف، فهي من الممكن أن تصل إلى مرتبة أبدال، وهي درجة عالية من درجات التصوف؛ فالأبدال عند الصوفية لهم مقام شريف ويليه في المرتبة النجباء والرجباء والنقباء.. وقيل إذا رأيت الرجل يحدث بالقرآن فطريقه طريق الأبدال. والأبدال تنزل العلوم على قلوبهم لكل يوم علم"^(٣). والمرأة إذا كانت تصل إلى هذه المرتبة فمعنى ذلك أنها تبلغ حظاً كبيراً في درجات التصوف.

وبطبيعة الحال فإن ابن عربي في مؤلفاته يذكر أن المرأة لها نفس المرتبة في الإسلام والإيمان والعبادة والولاية والصدق والتصوف والمقامات والصبر والخشوع والتصدق والحفظ لحدود الله والذكر والتوبة، وهذه حقيقة لا مرأى فيها ولا جدال لأنَّ

(١) ابن عربي: شرح معجم اصطلاحات الصوفية، ص ٦٥ (مصطلح الغيب ١٥٦)، وانظر في شرح معنى الغيب تعليق: سعيد هارون عاشور، نفس المصطلح والصفحة.

(٢) ابن عربي: الفتوحات المكية، السفر ١٣، ص ٥٨٣-٥٨٣.

(٣) د. عبد المنعم الحفسي: المعجم الصوفي (الكتاب الشامل لألفاظ الصوفية ولغتهم الاصطلاحية ومفاهيمهم ومعاني ذلك ودلالاته)، دار الرشاد، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ١٠، (مادة أبدال)، والبديلاء والأبدال جمع بدل، وسُمي البديلاء بدلاء لأنه إذا سافر عن موضعه ترك جسداً عليه صورته، وقيل: لأنهم بدلاء من الأقطاب في كل إقليم من أقاليم الأرض، فإذا مات قطب من إقليم أوقام قعد واحد منهم مكانه. (انظر سعيد هارون عاشور في شرحه لمعجم اصطلاحات الصوفية لابن عربي، ص ١٦-١٧، مصطلح البديلاء رقم ١٩).

ابن عربي لم يذكر فيها جديداً، فالمرأة تستوي مع الرجل في التكليف، وذلك مذكور في القرآن ولا يحتاج إلى تفسير أو بيان.

المبحث الثاني

صور تفضيل المرأة على الرجل

عند ابن عربي

مر بالباحثة فيما سبق أن ابن عربي أكد على أن المرأة لها خصوصيات، كما أن للرجال أيضاً خصوصيات، وابن عربي ذكر ما يؤيده كلامه في أن المرأة - من خلال فكره الصوفي - تسبق الرجال، وذكر عدة صور لذلك وحاول التأكيد عليها في كثير من مؤلفاته، وسوف نورد الباحثة في هذا المبحث لبعض من تلك الصور لتفضيل المرأة على الرجل عند ابن عربي.

صور تفضيل المرأة على الرجل عند ابن عربي:

من هذه الصور التي أوردها ابن عربي ما يأتي:

١- أن التأنيث له خصوصيته :

عول ابن عربي على ما جاء في الحديث الشريف من قول النبي ﷺ: "حبب إلي من دنياكم ثلاث" على أن ذكر لفظ "ثلاث" يعني خصوصية في التأنيث، حيث أوضح ابن عربي أن النبي ﷺ ذكر لفظ ثلاث ولم يذكر ثلاثة وأن هذا يعني "أنه، عليه السلام، غلب في هذا الخبر التأنيث على التذكير لأنه قصد التهمم بالنساء فقال "ثلاث" ولم يقل "ثلاثة" بالهاء الذي هو لعدد الذكران، وفيها ذكر الطيب وهو مذكر، وعادة العرب أن تغلب التذكير على التأنيث، فتقول: الفواطم وزيد خرجوا" ولا تقول: خرجن. فغلبوا التذكير - وإن كان واحداً - على التأنيث وإن كان جماعة. وهو عربي، فراعى المعنى الذي قصد به في التحبب إليه ما لم يكن يؤثر حبه. فعلمه الله ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيماً. فغلب التأنيث على التذكير بقوله ثلاث بغير هاء^(١).

ثم يشير ابن عربي إلى أن النبي ﷺ كان أعلم بهذه الحقائق لم غلب التأنيث، حيث يقول: "فما أعلمه ﷺ بالحقائق، وما أشد رعايته للحقوق! ثم إنه جعل الخاتمة نظيرة الأولى في التأنيث وأدرج بينهما المذكر. فبدأ بالنساء وختم بالصلاة وكلتاها تأنيث، والطيب بينهما كهو في وجوده، فإن الرجل مدرج بين ذلت ظهر عنها وبين

(١) ابن عربي: فصوص الحكم، ص ٢١٩.

امرأة ظهرت عنه؛ فهو بين مؤنثين: تأنيث ذات وتأنيث حقيقي. كذلك النساء تأنيث حقيقي والصلاة تأنيث غير حقيقي، والطيب مذكر بينهما كآدم بين الذات الموجود عنها وبين حواء الموجودة عنه " (١).

وعند ابن عربي التأنيث ظاهر في كثير من الصفات، حيث يقول ابن عربي: " وإن شئت قلت الصفة فمؤنثة أيضاً، وإن شئت قلت القدرة فمؤنثة أيضاً، فكن على أي مذهب شئت، فإنك لا تجد إلا التأنيث يتقدم حتى عند أصحاب العلة الذين جعلوا الحق علة في وجود العالم. والعلة مؤنثة " (٢).

بل ويذهب ابن عربي إلى أكثر من ذلك في تفصيل المرأة في هذا على الرجل فيقول: "ولو لم يكن في شرف التأنيث إلا إطلاق الذات على الله وإطلاق الصفة، وكلاهما لفظ التأنيث جبراً لقلب المرأة الذي يكسره من لا علم له من الرجال بالأمر" (٣)، وقد جعل ابن عربي إطلاق التأنيث على ذات الله تعالى، هو مرضاة للمرأة لما يقع لها من الرجال، وهذا يؤكد أيضاً منزلتها، كما أشار ابن عربي إلى ذلك.

٢- أن النساء أغلب على شهواتهن من الرجال:

من شأن المريدين في طريق التصوف أن يسلكوا طريق المجاهدة وأولها التغلب على الشهوة، وهو أمر كان من أهم الوصايا التي توجه إلى من يسلك الطريق الصوفي، فالقشيري ينصح المريدين بأن يحفظوا الحواس عن المحظورات (٤)، وقد حدد صوفية آخرون للمريد ما ينبغي أن يتبعه في مجاهدة شهواته، فأكدوا "أن عليه أن يروض نفسه بالمجاهدة، وأن يظن النفس عن مآلوفاتها، ويحملها على خلاف أهويتها، ويمنعها من الشهوات، ويأخذها بالمكابدات .." (٥)، وعلى هذا فإن المريدين يتفاضلون

(١) ابن عربي: فصوص الحكم، ص ٢١٩-٢٢٠.

(٢) ابن عربي: فصوص الحكم، ص ٢٢٠.

(٣) ابن عربي: الفتوحات، نسخة عبد القادر، ج ٣، ص ٩٠.

(٤) القشيري: الرسالة القشيرية، تحقيق: ودراسة: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت)، ص ٥٨٠.

(٥) ضياء الدين السهروردي: آداب المريدين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٤٥.

في مرتبة المجاهدة هذه تبعاً لتفاوتهم في كبح جماح نفوسهم في هذا الشأن. وقد أدرك ابن عربي أنَّ المريد أو المريدة إذا تغلب على شهواته، بلغ درجة أعلى من غيره الذي ما زال مثلبساً بها، حيث يقول: "وأعظم بها من صفة لمن تركها لله بقوة دائماً، ورقى بفكره في معارج التجريد ملازماً" ^(١)، أي أنَّ هذه الصفة في التغلب على الشهوة تعد صفة عظيمة في باب التصوف ليصل إلى درجة الكمال. وإذا كان ابن عربي يؤكد على أنَّ المرأة أقدر على التغلب على شهواتها من الرجل بقوله: "كانت الشهوة النكاحية في الموضع الذي عمرته حواء حين خرجت؛ لأنه ليس في الوجود خلافها، فأحلت الشهوة الموضع لنزول حواء فيه، ونزلت بالموضع الذي خرجت منه حواء من آدم، فعمر الموضع وخرجت الشهوة فيه أقوى مما خرجت في حواء، فإن حكم عليها موضع الشهوة، فإنَّ النساء أغلب على شهواتهن من الرجال بذاتها، وفي المرأة بما بقي من آثار رحمها في موطنها الذي عمرته" ^(٢)، وبالتالي فإنَّ ابن عربي إذا كان يؤكد على ذلك فإنه يعطي سبباً لمدى قدرة النساء وتحملهن لمقتضيات التصوف وعمق تجاربه.

٣- أنَّ شهوة النساء سبب لقيام الوجود:

ويقول ابن عربي في ذلك: "شهوة النساء سبب لقيام الوجود، ولظهور الأفعال الإنسانية والإلهية، إذ لولا وجود الإنسان الذي له تظهر الموجودات، لكان حكمها حكم العدم بالنسبة إلى الإنسان المعدوم، فلولا الإنسان الموجود لما ظهر الوجود، ولولا الشهوة لما ظهر الإنسان، فتارك الشهوة ترك الوجود بأسره، وقوي على الوقفة في الوحدة بفكره، وأعظم بها صفة لمن تركها لله بقوة دائماً، ورقى بفكره في معارج التجريد ملازماً" ^(٣). يوضح ابن عربي بهذا أنَّ الشهوة وضعت في البشر لأجل قيام

(١) ابن عربي: شجون المسجون وفنون المفتون، ص ٧٧.

(٢) ابن عربي: كتاب الباء، المطبعة المنيرية بالأزهر - القاهرة، الطبعة الأولى ١٢٧٤هـ - ١٩٥٤م، ص ٤٥.

(٣) ابن عربي: شجون المسجون وفنون المفتون، اعتنى به: د. عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي، ص ٧٧. والحقيقة أنَّ النص يحمل في طياته تعظيم هذه الشهوة، وأنها سبب إعمار هذا الكون، مع تعظيم تاركها لله تعالى.

الوجود، ولكنه قصرها على النساء، وهو يقصد شهوة الرجل لها، ولكنه ترك شهوتها هي، وما ذكر ذلك إلا لبيان أهميتها في الكون، وأنَّ تعالى على ذلك من أهم صفات قوة المريد.

٤- ربط المرأة بالوحدانية والرجل بالفردانية :

ربط ابن عربي الكلام عن المرأة بالوحدانية، والرجل بالفردانية، فجعل المرأة أقوى من الفرد (وهو الرجل) الذي لا يكون إلا بوجود اثنين ، ويوضح هذا قوله: " ففوة المرأة من أجل الواحد أنه أقوى من قوة الفراشية، ولهذا تكون المرأة أقوى في سير المحبة من الرجل، ولهذا هي أقرب إلى الإجابة وأصغى إلى كل محل، ذلك من أجل الوحدانية، ولما كان الفرد لا يكون إلا بعد ثبوت الاثنين ضعف عن عزة الوحدانية، فقال: " رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا " ^(١)، فلا تقل طلب رجوعاً إلى الوحدانية فإنَّ ذلك لا يصح لأمرين: الأمر الواحد أنه فرد لا واحد، والثاني أن الله استجاب دعاءه، فقال: " فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى " ^(٢)، لما وهب الله زوجه فظهر فرداً آخر، وهو يحيى، ثم أشار الحق بوحدانية المرأة وفردانية الرجل، وقوة المرأة وضعف الرجل، لصورة الميراث فأعطى الأكثر للأضعف كي يتقوى من وجه الضعف ومن جهة التناسل، فإنَّ الوحداني لا يقبل إلا مثله، فأعطى قسماً واحداً، والفرد إنما هو عن الاثنين " ^(٣)، وكل هذا يوضح ضعف الرجل وقوة المرأة، وبالتالي فهي تستحق الأفضلية عليه.

٥- أن مرتبة المرأة كمرتبة الطبيعة:

من بين ما أعطاه ابن عربي للمرأة من فضائل أنه جعلها في مرتبة الطبيعة، من حيث كون الطبيعة محلاً لوجود أعيان الأجسام، وأنَّ المرأة محل لوجود أعيان الأبناء، فكانَّ المرأة منفعة مثل الطبيعة كذلك. يعلق ابن عربي على خصوصية تقدم ذكر النساء في الحديث الشريف الذي يبدأ بقوله ﷺ "حب"، فيقول: "وإنما قدم النساء لأنهم محل الانفعال كما تقدمت الطبيعة على من وجد منها بالصورة وليست الطبيعة

(١) سورة الأنبياء : الآية ٨٩.

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٩٠.

(٣) ابن عربي : كتاب الباء، ص ٤٦.

على الحقيقة إلا النفس الرحماني، فإنه فيه انفتحت صور العالم أعلاه وأسفله لسريان النفخة في الجوهر الهولاني في عالم الأجرام خاصة ^(١).

ثم ينتقل ابن عربي ليوضح فضل المرأة مؤكداً على أنها من الرجل بمنزلة الطبيعة من الأمر الإلهي، لأن المرأة محل وجود أعيان الأبناء. كما أن الطبيعة للأمر الإلهي محل ظهور أعيان الأجسام، فيها تكونت وعنها ظهرت فأمر بلا طبيعة لا يكون وطبيعة بلا أمر لا تكون، فالكون متوقف على الأمرين، ولا تقل أن الله قادر على إيجاد شيء من غير أن يفعل أمر آخر، فإن الله يرد عليك في ذلك بقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ^(٢).. فمن عرف مرتبة الطبيعة عرف مرتبة المرأة، ومن عرف الأمر الإلهي فقد عرف مرتبة الرجل، وإن الموجودات مما سوى الله متوقف وجودها على هاتين الحقيقتين، غير أن هذه الحقيقة تخفى وتدق بحيث يجهلها أبناءها من العقول، فلا تثبتها في العالم البسيط وتثبتها في العالم المركب، وذلك لجهلها بمرتبته كما جهلت هنا مرتبة المرأة مع تنبيه الشارع على منزلها بقوله ﷺ أن النساء شقائق الرجال ^(٣) فالأمر بينهما يكون علواً وسفلاً ^(٤)، وظاهر هذا النص يجعل لكل من المرأة والرجل مرتبة خاصة، إلا أنه يؤكد على فضل المرأة عندما يشبه دورها بالصور المتجسدة في الطبيعة.

وابن عربي كما يبدو هنا يوظف مسألة الطبيعة على نحو جديد يمتزج فيه التصور الفلسفي للطبيعة مع ما فهمه الصوفية حول هذا الأصل؛ فالطبيعة عند الصوفية تعني "الحقيقة الإلهية الفعالة للصور كلها" ^(٥)، وهو أمر يعني أن الطبيعة هي شيء منفعّل يستقبل الأمر الإلهي. هذا التصور يقترب إلى حد كبير بين ما ورد عن الطبيعة

(١) ابن عربي: فصوص الحكم، ص ٢١٩.

(٢) سورة النحل: الآية ٤٠.

(٣) وقد فسر ابن عربي النساء شقائق الرجال فقال: "تعلم أن النساء شقائق الرجال؛ ألا ترى حواء خلقت من آدم فلها حكامان حكم المذكورة بالأصل وحكم الأنوثة بالعارض فهي من المتشابهة فإن الإنسانية مجمع الذكر والأنثى" (ابن عربي: الفتوحات، نسخة عبد القادر، ج ٣، ص ٨٥).

(٤) ابن عربي: الفتوحات المكية، نسخة الجزائري، ج ٣، ص ٩٠.

(٥) د. عبد المنعم الحفني: المعجم الصوفي، ص ١٥٨.

ففي التصور الفلسفي وذلك أنَّ "الطبيعة عند الفلاسفة بوجه عام هي جملة الكائنات في نظمها المختلفة من أرض وسماء وتُسمى الكوسموس أو الكون"^(١)، وهو ما يعني أنَّ الطبيعة متقبلة للأمر أيضاً. ومن هنا يمكن القول بأنَّ ابن عربي انطلق من هذا التصور للطبيعة بأنَّها منفعة ليدل على أنَّ المرأة التي هي محل ظهور أعيان الأبناء تشابه الطبيعة التي هي محل ظهور أعيان الأجسام. وهنا تقف الباحثة على مكانة كبرى يعطيها ابن عربي للمرأة من حيث إنه يتحقق من خلالها نفس هذا الدور الذي يقوم في الطبيعة.

ولا يمكن إغفال الأثر الفلسفي الذي يوجد عند ابن عربي هنا في تشبيهه لدور المرأة بما يحدث في الطبيعة، حيث ورد في كلام ابن عربي كلام مثل الهولاني والطبيعة التي هي مرآة الصور، والعالم البسيط والعالم المركب، وغير ذلك. كما أنَّ ابن عربي رغم تصريحه بأنَّه لم يأخذ شيئاً عن الفلاسفة إلا أننا نرى مظاهر تأثره بهم في بعض كتاباته وفي طرائق تفكيره"^(٢).

على أية حال لقد استطاع ابن عربي أن يستفيد من معارفه الفلسفية في إعطاء هذه المرتبة للمرأة.

٦- أن أتم شهود الله في المرأة:

وحديث ابن عربي عن هذه الخاصة يرتبط بمذهبه في نظرية وحدة الوجود، والتي يرى فيها أنَّ الوجود بأسره حقيقة واحدة ليس فيها ثنائية ولا تعدد.. على الرغم مما يبدو لحواسنا من كثرة في الموجودات في العالم الخارجي وما نقرره بعقولنا من ثنائية الله والعالم الحق والخلق. ولكنَّ الحق والخلق عنده اسمان أو وجهان لحقيقة واحدة، إذا نظرت إليها من ناحية وحدتها سميتها حقاً، وإن نظرت إليها من ناحية

(١) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م، ص ١١٢.

(٢) د. إبراهيم هلال : التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٩م،

تعددتها سميتها خلقاً ولكنهما اسمان لمسمى واحد^(١)، فالإتحاد عند ابن عربي لا يعني أكث من اتحاد الإنسان بموجده - الحق تعالى - اتحاداً معنوياً أو شعورياً، فالمقصود عنده هو شهود الوجود الواحد المطلق، الذي هو عين حقيقة كل موجود من حيث وجوده لا من حيث عينه^(٢).

فقد كان مذهب وحدة الوجود، يملك على ابن عربي زمام عقله ورمحه وتفرع عنه كل ما ذكره من مسائل الفلسفة والتصوف الكبرى، كمسائل الألوهية والبشرية والمعرفة الإنسانية والحياة النفسية، والمحبة الإلهية والأديان والأخلاق وأمور الآخرة وغير ذلك، ومن هنا فإن حديث ابن عربي عن المرأة ارتبط أحياناً بمذهبه في وحدة الوجود، مثلما رأى أن بعضاً من مظاهر الشهود يرتبط بالمرأة، بل ويرى ابن عربي أن أتم شهود الله كان في المرأة، حيث يقول: "حنّ الرجل إلى ربه الذي هو أصله حنين المرأة إليه، فحبب إليه ربه النساء، كما أحب الله من هو على صورته، فما وقع الحب إلا لمن تكون عنه، وقد كان حبه لمن تكون منه وهو الحق، فلهذا قال: "حبب"، ولم يقل أحببت من نفسه؛ لتعلق حبه بربه الذي هو على صورته حتى في محبته لامرأته، فإن أحبها بحب الله إياه تخلقاً إلهياً^(٣). أي أن حب المرأة نابع من حنين الرجل إلى ربه الذي هو أصله حنين المرأة إليه فحبب إليه ربه النساء كما أحب الرجل ربه وهذا الحب ناتج من الذي تكون عنه، وقد كان حبه لمن تكون منه وهو الحق سبحانه فأحب لحب الله إياها وهذا من باب تفضيلها على الرجل.

٧- حب المرأة تخلق بأخلاق الله :

ونفس النص السابق يذكر هذا المعنى : " وحنّ الرجل إلى ربه الذي هو أصله حنين المرأة إليه، فحبب إليه ربه النساء، كما أحب الله من هو على صورته، فما وقع

(١) د. أبو العلا عفيفي: التصوف الثورة الروحية في الإسلام، ص ١٨٨، ومذهب وحدة الوجود ساد عند صوفية كثيرين ويعني عندهم " أن الحقيقة الوجودية واحدة، وأن الكثرة الظاهرية مظاهر وتعينات فيها، أي أن الخلق الظاهر هو الحق الباطن " (د. عبد المنعم الحنفي: المعجم الصوفي، ص ٢٥٧).

(٢) د. أحمد الجزار : الفناء والحب الإلهي عند ابن عربي، ص ٢١٤.

(٣) ابن عربي : فصوص الحكم، ص ٢١٦ - ٢١٧.

الحب إلا لمن تكون عنه، وقد كان حبه لمن تكون منه، وهو الحق، فلهذا قال "حب" ولم يقل "أحببت" من نفسه التعلق حبه بربه الذي هو على صورته حتى في محبته لامرأته، فإنه أحبها بحب الله إياها تخلقاً إلهياً^(١)، حيث جعل حب الرجل للمرأة هو من التخلق بأخلاق الله، لأن الله قد أحب محمداً ﷺ الذي خلقه على صورته، ولأن محمداً ﷺ هو أول موجود حسب عقيدة ابن عربي .

٨ - أن سبب العصيان هو آدم عليه السلام وليست حواء:

من أحد بواعث تفضيل المرأة عند ابن عربي ما يراه ابن عربي من أفراد آدم بالمعصية دون أهله، حيث يرى ابن عربي في قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾^(٢). أن مع أن النهي وقع عليهما والفعل وقع عنهما؛ لأنها جزء منه فكأنها ما ثم إلا هو؛ ولأنه أقرب إلى الذكرى من حواء فنسي، والمرأة أنسى من الرجل، ولهذا قامت المرأتان في الشهادة مقام الرجل الواحد؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾^(٣)، وذلك لأن المرأة شق من الرجل فامرأتان شقان وشقان نشأة كاملة فامرأتان رجل واحد فهي ناقصة الخلق معوجة في النشئ، لأنها ضلعت فأهدرت من اللفظ ولم تذكر، وذكر آدم عليه السلام لنقيض ما ذكرناه في حواء، ونسيان آدم عليه السلام إنما كان لما أخبره الله تعالى به من عداوة إبليس، وما تخيل آدم عليه السلام أن أحداً يقسم بالله كاذباً فلما أقسم بالله أنه ناصح لهما فيما ذكره لهما تناولا من الشجرة المنهي عنها^(٤).

٩ - أن الرجل ينسى والمرأة لا تنسى:

مسألة التذكير والنسيان كانت أيضاً أحد المسائل التي اتخذ منها ابن عربي موضعاً لتفضي المرأة على الرجل حيث أكد مفكرنا على أن الرجل ينسى وأن المرأة لا تنسى، ومن ثم فهي أفضل من الرجل في هذا المنحى، فقد ذكر ابن عربي أن الذي

(١) ابن عربي: فصوص الحكم، ص ٢١٦-٢١٧.

(٢) سورة طه: الآية ١٢١.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٤) ابن عربي: كتاب الإسفار عن نتائج الأسفار، الجزء الثاني من رسائل ابن عربي، ص.

ينسى هو الرجل وليس المرأة، حيث يقول: "وإن ذكرت تعليل الحق في إقامة المرأتين في الشهادة مقام الرجل الواحد بالنسيان في قوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾^(١)، والتذكير لا يكون إلا عن نسيان، فقد أخبر الله تعالى عن آدم أنه نسي، وقال ﷺ: "فنسي آدم فنسيت نريته"^(٢)، فنسيان بني آدم نرية عن نسيان آدم كما نحن نريته وهو وصف إلهي منه صدر في العالم قال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٣)، على أن الحق ما وصف إحدى المرأتين إلا بالحيرة فيما شهدت فيه ما وصفها بالنسيان، والحيرة نصف النسيان لا كله، ونسب النسيان على الكمال للرجل فقال: "فنسي ولم نجد له عزماً". فقد يمكن أن ينسى الرجل الشهادة رأساً ولا يتذكرها ولا يمكن أن تنسى إحدى المرأتين وهي المذكرة لا على التعيين، فتذكر التي ضلت عما شهدت فيه فإن خبر الله صدق بلا شك، وهو قد أخبر في هذه الآية أن إحداها تذكر الأخرى، فلا بُدَّ أن تكون الواحدة لا تضل عن الشهادة ولا تنسى فقد اتصفت المرأة الواحدة في الشهادة، بإخبار الحق عنها، بصفة إلهية، وهو قول موسى الذي حكى عنه في القرآن: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾^(٤) "٥".

١٠- زيادة المرأة على الرجل في الاسم:

يقول ابن عربي: "ألا تنتظر إلى حكمة الله تعالى فيما زاد للمرأة على الرجل في الاسم، فقال في الرجل المرء، وقال في الأنثى المرأة، فزادها هاء في الوقف ناء في الوصل على اسم المرء للرجل، فلها على الرجل درجة في هذا المقام ليس للمرء في

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٢) رواه الترمذي في سننه برقم (٣٠٧٦) و(٢٣٦٨)، وقال هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، ورواه ابن حبان في صحيحه برقم (٦١٦٧)، وقال فيه شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٣) سورة التوبة: الآية ٦٧.

(٤) د. حامد طاهر في مقدمته لتحقيق كتاب روح القدس في مناصحة النفس، ص ١٤٣-١٤٤.

(٥) ابن عربي: الفتوحات، نسخة عبد القادر، ج ٣، ص ٨٩-٩٠.

مقابلة قوله: "وللرجال عليهن درجة". فسد تلك الثلمة بهذه الزيادة في المرأة وكذلك ألف حبلتي وهمزة حمراء " (١).

ومن الواضح أن ابن عربي يمس هنا مسألة مهمة عبّر الصوفية من خلالها عن وجهة نظرهم بصورة فلسفية، وهي مسألة الحروف وخواصها؛ وهو الموضوع الذي أولاه ابن عربي عناية كبيرة حيث ترتبط أسرار الحروف عند ابن عربي بالكثير من أفكار منهجه، كفكرة الإنسان الكامل، والتقابل بين الحضرة الإلهية، والحضرة الإنسانية، وصدور الموجودات عن الله، وتأثير الأسماء الإلهية في الكون" (٢).

ففي النص الذي عرضت له الباحثة، ولأن ابن عربي آنفاً يبدو أن مفكرنا ينطلق في إشارته إلى زيادة المرأة على الرجل في مسألة التسمية، يبدو أن ينطلق في ذلك من مسألة فهمه الفلسفي لقضية الحروف وأسرارها، فهو يتنبه إلى أن لفظ (المرأة) يزيد على لفظ "الرجل" بحرف الهاء، وأن ذلك يعطي للمرأة مكانة أعلى من الرجل.

أفضلية بعض النساء على بعض:

إذا كان ابن عربي قد اهتم بتفضيل المرأة على الرجل، أو المساواة بينهما في بعض الأحيان — كما مرّ بالباحثة فيما سبق — فإنه أيضاً لم يجعل كل النساء — أو حتى اللاتي يشتركن في درجة الأنوثة — في مرتبة واحدة، ولكنه فرّق بين النساء العاديين، وبين الحور في الجنة وبين نساء سمّاهن بنساء أرض الحقيقة (٣)، حيث يقول

(١) ابن عربي : الفتوحات، نسخة عبد القادر، ج ٣، ص ٨٩.

(٢) ابن عربي : الفتوحات، نسخة عبد القادر، ج ٣، ص ٨٩.

(٣) من المفيد أن تورد الباحثة لرأي ابن عربي في معنى الحقيقة لمعرفة هذه الأرض التي يقصدها، وهل هي من باب التوهم، أم من باب الحق مثل الجنة التي لم نرها بعد، فالحقيقة عنده تعني " سلب آثار أوصافك عنده بأوصافه، بأنّ الفاعل بك فيك منك لا أنت، يعبرون بها عن إقامة حال الباطن. ولا ينصلح حال الباطن. إلا بعد سلب آثار أوصافك عنك ثم تفيدك بأوصاف الحق وتكسبك بها، فإنّ وجودك عين وجوده، وأوصافك عين أوصافه، ومن ثم فإنّ الفاعل بك منك لا أنت .. والفرق بين الحق والحقيقة: أنّ الحق هو الذات، والحقيقة هي الصفات، فالحق: اسم الذات، والحقيقة : اسم للصفات " (محيي الدين بن عربي: شرح اصطلاحات الصوفية، شرح وتديق : سعيد هارون عاشور، ص ٢٩—

فيه حين وصفه لأرض الحقيقة^(١): " إذا نظرت إلى نساءها، ترى أن النساء الكائنات في الجنة من الحور، بالنسبة إليهن، كنسائنا من البشر بالنسبة إلى الحور في الجنان"^(٢). أي أنه جعل الفارق بين نساء أرض الحقيقة وبين الحور العين، كالفارق بين الحور العين والنساء من البشر، وهو بذلك يستحث القارئ على المقارنة بين الحور العين ونسائنا ليعرف الفرق بين نساء أرض الحقيقة والحور، مما يقود لإثبات فضل نساء أرض الحقيقة على غيرهم من النساء، وهن أفضل النساء على الإطلاق عند ابن عربي.

ثم يذكر شيئاً من وصفهن، فيقول بأن " مجامعتهم لا يشبه لذتها لذة، وأهلها أعشق الخلق فيمن يرد عليهم، وليس عندهم تكليف بل هم مجبولون على تعظيم الحق وجلاله تعالى: لو راموا خلاف ذلك ما استطاعوا"^(٣). وهذا يوضح شيئاً من وصفهن، بأنهم أعشق الخلق، وليس عندهم تكليف، وأنهم مجبولون على تعظيم الخالق سبحانه وتعالى، غير أنه يذكر في موضع آخر أن " خلقها متفاوتون في الأحوال: ففهم من تغلب عليه

(١) وأرض الحقيقة التي ذكرها ابن عربي هي كما قال هو في أحد عناوينه في كتبه " في معرفة الأرض التي خلقت من بقية خميرة طينة آدم، وتسمى أرض الحقيقة "، وهي فضل من الطينة .. قدر السمسة في الخفاء، فمد الله في تلك الفضلة أرضاً واسعة الفضاء، إذ جعل العرش وما حواه والكرسي والسموات والأرضون وما تحت الثرى والجنات كلها والنار في هذه الأرض .. وفيها من المعائب والغرائب ما لا يقدر قدره، ويبهز العقول أمره. وفي كل نفس خلق الله فيها عوالم يسبحون الليل والنهار لا يقترون " ... وهي مسرح عيون العارفين، العلماء بالله، وفيها يجولون. وخلق من جملة عوالمها عالماً على صورنا، إذا أبصرهم العارف يشاهد نفسه فيها " .. وذكر أن العارفين يذهبون إليها، ولهم في الدخول إليها مراسم دخول، وذكر شيئاً من تربتها وشجرها وثمارها، وذكر في ذلك الشيء العجيب بما قد يفوق ما وصف في الجنة، وذكر أن ذا النون المصري شاهدها. (انظر ابن عربي : الفتوحات المكية ، السفر الثاني ، ص ٢٥٧ - ٢٦٤).

(٢) ابن عربي : الفتوحات المكية ، السفر الثاني ، ص ٢٦٤ .

(٣) ابن عربي : الفتوحات المكية ، السفر الثاني ، ص ٢٦٤ .

الشهوات، وفيهم من تغلب عليهم تعظيم جناب الحق^(١)، وهذا لا يدل على الجبلية، بل يدل على الاختيار.

وأما عن نكاح نساء هذه الأرض، وكيفية توالدهن، فيقول فيه: " وخلقها ينبتون فيها كسائر النباتات، من غير تناسل، بل يتكونون من أرضها تكون الحشرات عندنا^(٢) ولا ينعقد، من مائهم — في نكاحهم — ولد، وإن نكاحهم إنما هو لمجرد الشهوة والنعيم^(٣). وقد أثبت ابن عربي لأهلها ماء يأتي عند الجماع، ولكنه للشهوة والاستمتاع فقط، وليس لأجل التوالد، وهذا إثبات منه أيضاً بالنكاح في هذه الأرض.

(١) ابن عربي : الفتوحات المكية ، السفر الثاني ، ص ٢٦٥. وهذا النص يطرح تساؤلاً: هل الشهوة تمنع تعظيم جناب الحق؟ ظاهر كلامه أنه لا يمنع لأنه من باب التغلب فقط، لا من باب ترك شيء لشيء، ولعلمهم حال الشهوة يلتذون بغير الله كما ذكر ابن عربي في سبب الاغتسال من الجماع.

(٢) هذه النظرية ثبت الخطأ فيها علمياً، لأن النباتات تتوالد بطرق عدة، تكلم عنها أهلها، وأما الحشرات فقد ثبت أيضاً أنها لها طرق في التكاثر، وليس طريقة واحدة.

(٣) ابن عربي : الفتوحات المكية ، السفر الثاني ، ص ٢٦٥.

المبحث الثالث

صور تفضيل الرجل على المرأة

عند ابن عربي

تقديم:

مرَّ بالباحثة فيما سبق كيف أنَّ هناك صوراً كثيرة لتفضيل المرأة على الرجل عند ابن عربي، غير أنَّه ورد في فكر هذا الصوفي ما يتم هذه المسألة، حيث حدد المسائل التي يفضل فيها الرجل على المرأة، فعند ابن عربي الرجل يسبق المرأة في بعض الأشياء مثلما أنَّها تسبقه أيضاً في بعض الجوانب.

وابن عربي يستند إلى قوله في مكانة الرجل هذه إلى قوله تعالى: ﴿وَالرِّجَالُ عَلَى نِسَائِهِمْ دَرَجَةً﴾^(١)، حيث يقول ابن عربي في تفسير هذه الآية: "إنَّ تلك الدرجة الأصلية. فإنَّ حواء وجدت من آدم فله عليها درجة في الإيجاد. وكذلك العقل مع النفس، والقلم مع اللوح، فلما كانت المرأة منفصلة عن الرجل بالأصالة لذلك كانت الدرجة " (٢)، ويوضح ذلك أيضاً بمعنى آخر فيقول: "اعلم أنَّ منزلة المرأة من الرجل في أصل الإيجاد منزلة الرحم من الرحمن فإنَّها شجرة منه فخرجت على صورته"^(٣).

ويذكر ابن عربي أيضاً أنَّ المرأة تحلق بالرجل، في بعض الدرجات، ولكنَّ الدرجة المذكورة في الآية لا تزول أبداً، حيث يقول: "وأما اختياره - تعالى - مريم وآسياه فهو إلحاقهما بالكمال، مع وجود "الدرجة" التي "للرجال عليهن" فإنَّ تلك "الدرجة" وجودية، فلا تزول"^(٤).

وسوف تعرض الباحثة في هذا الموضع لعدد من الصور التي ذكرها ابن عربي لتفضيل الرجل على المرأة، وإلحاق المرأة بالرجل في كثير من الأمور.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٨.

(٢) ابن عربي: القطب والنقباء، ص ٧٥-٧٦.

(٣) ابن عربي: الفتوحات، نسخة عبد القادر، ج ٣، ص ٨٨.

(٤) ابن عربي: الفتوحات، سفر ١٣، ص ٥٠٨.

وقد جاء في فكر ابن عربي الكثير من الصور التي يستند إليها في إعطاء الأفضلية للرجل على المرأة ويمكن للباحثة أن تشير إلى بعض منها على النحو الآتي:

١- أن الله خلق حواء على صورته عن طريق آدم:

حيث يقول ابن عربي: " كما نزلت المرأة عن درجة الرجل بقوله: " وللرجال عليهن درجة " نزل المخلوق على الصورة عن درجة من أنشأه على صورته مع كونه على صورته" (١).

٢- أن درجة النبوة ليست للنساء:

يوضح ابن عربي هذا القول بعدم جواز بأن يصل كمال المرأة إلى درجة وصولها إلى النبوة أو البعثة، حيث يقول: " فإن كملاً بالنبوة فقد فضل الرجل بالرسالة والبعثة ولم يكن للمرأة درجة البعثة والرسالة، مع أن المقام الواحد المشترك يقع التفاضل في أصحابه بينهم فيه" (٢).

٣- أن الإمامة العظمى لا تنعقد للمرأة:

ويقصد بالإمامة العظمى الخلافة كما كانت إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم، وفي هذا السياق يذكر ابن عربي أن "الإمامة لا تنعقد لامرأة، والذي منه ذلك أنه ليس لها منصب القضاء، ولا منصب الشهادات في أكثر الحكومات شرعاً، اعتباره هذا بين بنفسه لا يحتاج إلى شرح، والذي منه أن تكون النفس وإن اتصفت بصفات الكمال، فإنها في الكون تحت حجاب الصدق، وهي كريمة هذا الإمام، وهي محل الفجور والتقوى والعلة مطردة في الخلافتين معاً" (٣).

ويعبر عن هذا أيضاً حين ذكر الشرائط التي لا بد أن تتوفر في الإمام، حيث يقول: " إقامة الدين هو المطلوب، ولا يصح إلا بإمام، فاتخاذ الإمام واجب في كل زمان.. إذا اكتملت الشرائط صحَّ العقد، ولزم العالم الوفاء بالعهد" (٤)، ثم ذكر من

(١) ابن عربي: فصوص الحكم، ص ٢١٩.

(٢) ابن عربي: الفتوحات، نسخة عبد القادر، ج ٣، ص ٨٨.

(٣) ابن عربي: كتاب التفسيرات الإلهية، ص ٣٢٧-٣٢٨.

(٤) ابن عربي: تهذيب الأخلاق، ص ٢٣٦.

الشرائط "الذكورية، والنجدة"^(١)، والحقيقة أن هاتين الصفتين لا تتوفران في المرأة، وهما خاصتان يكونان للرجل كما فطره الله تعالى.

ولعل ابن عربي يعرف الحديث المشهور، وهو قول رسول الله ﷺ: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"^(٢)، وذكر هو نفس هذا الحديث، ولكنه قال أن المقصود به هو تولية الناس، أمّا تولية الله لها لا توحى بهذا النقص المذكور^(٣).

٤- درجة الذكورية أسبق إلى الحق:

قال ابن عربي: "لا تسبقك الإناث إلى الحق فينلن ذكورتك وتنال أنوثتهن"^(٤). فهو يرى بأن درجة الذكورية أعلى في مراتب التصوف، وهو أمر قد يخالف ما أشار إليه ابن عربي حين ذكر أن النساء تشترك مع الرجال في مرتبة الأبدال والأوتاد والقطبية، وهي من أعلى المراتب في الطريق الصوفي.

٥- كمال المرأة مستمد من كمال الرجال^(٥).

جاء في أقوال ابن عربي ما يفيد أن المرأة تستمد كمالها من الرجال، حيث يشير إلى أن "أفضل الصيام وأعدله صوم يوم في حَقِّك، وصوم يوم في حق ربك، وبينهما فطر يوم .. وهذا كان صوم مريم عليها السلام، فإنها رأت أن للرجال عليها درجة". فقالت: "عسى أجعل هذا اليوم الثاني في الصوم في مقابلة تلك الدرجة!". وكذلك كان. فإن النبي ﷺ "شهد لها بالكمال، كما شهد به للرجال". ولما رأت أن شهادة المرأتين تعدل شهادة الرجل الواحد، فقالت: "صوم اليومين بمنزلة اليوم الواحد من الرجل". فنالت مقام الرجال بذلك، فسادت داود عليه السلام في الفضيلة وفي الصوم. فهكذا من غلبت عليه نفسه فقد غلبت عليه ألوهيته^(٦)، فينبغي أن يعاملها بمثل ما عاملت

(١) ابن عربي: تهذيب الأخلاق، ص ٢٣٦.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢٠٥٢٧)، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط قائلًا: حديث صحيح.

(٣) ابن عربي: الفتوحات، نسخة عبد القادر، ج ٣، ص ٨٩.

(٤) ابن عربي: تاج التراجم، ص ٤٨، باب الشاهد في الأمر الخفي والجلي.

(٥) د. نصر حامد أبو زيد: هكذا تكلم ابن عربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م، ص ٢٤٦.

(٦) هكذا ذكرت في الفتوحات، سفر ٩، ص ٣٩٩، لفظة "ألوهيته". أمّا د. نصر حامد أبو زيد، في كتابه

"هكذا تكلم ابن عربي"، ص ٢٤٦، ذكرها أنوثيته.

به مريم نفسها في هذه الصورة حتى تلحق نفسه بعقلها. وهذا إشارة حسنة لمن فهمتها " (١)، ومعنى ذلك أن كمال مريم عليها السلام جاء من لحوقها بالرجال (٢).

٦- نقصان عقولها ودينها:

ولم يغفل ابن عربي أن يذكر نقصان عقل المرأة، وأن ذلك هو مما يجعلنا أقل كمالاً من الرجل، إذ يقول: "وإن ابتليت بصحبة الزوجة فدارها وتنزل من عقلك إلى عقلها، فإن ذلك من كمال عقلك، فإنها لن تستطيع أن تبلغ درجتك فلا تطلبها باستقامة الرجال، فإن أصلها على ذلك، فعلم كل شخص من حيث هو، لا ما أنت عليه فإن الغالب على النساء أنهن لا يستطعن أن يبلغن مبلغ الرجال الكمل إلا من جاء النص بكمالهما: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، فإن النص ورد فيهما من الكمال من النبي ﷺ" (٣).

وكما يقول ابن عربي مخزراً من طول مجالسة النساء، مشيراً إلى نقص عقولهن: "لا تكثر مجالسة النساء" (٤) ولا الصبيان، فإنه ينقص من عقلك بقدر ما تنزل إلى عقولهم، مع الفتنة التي تخاف منها في مجالسة النساء" (٥).

(١) ابن عربي الفتوحات، السفر ٩، ص ٣٩٨-٣٩٩.

(٢) لقد ذكر ابن عربي ذلك صراحة في (الفتوحات، السفر ٩، ص ٣٩٩).

(٣) ابن عربي: الوصايا، تحقيق: لجنة التأليف والنشر بدار الإيمان، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ١٨٣.

(٤) وابن عربي في الحقيقة لا يغفل ذكر بعض النساء ورجاحة عقولهن كما ذكر عن شيخاته ومن قابلهم من النساء المتعبدات والمتصوفات، وذكر من ذلك رجاحة عقل جارية وحكى قصتها قائلاً: "جاور معي بمكة - أظن سنة تسع وتسعين وخمسمائة - رجل من أهل تونس يقال له: عبد السلام بن السعيد، وكانت عنده جارية اشتراه بمصر في الشدة التي وقعت بمصر سنة سبع وتسعين وخمسمائة، فقال لها: يا جارية أوصيك بأمرين: حفظ السر والأمانة، فقالت الجارية: ما تحتاج، فأني أعلم أن الشخص إذا كان أميناً شارك الناس في أموالهم، وإن كان حافظاً للسر شاركهما في عقولهم، فاستحسن هذا الجواب منها، فسأل عنها فوجدها حرة قد بيعت في غلاء مصر، فأعتقها وسرحها، فرجعت إلى أمها وأخواتها" (انظر ابن عربي: الوصايا، ص ١٨٥).

(٥) ابن عربي: الوصايا، ص ١٨٥.

ولم يفت ابن عربي أن يقدم من جانبه تفسيراً لما يراه من نقصان عقل المرأة ودينها حيث يقول: "فلا تعلم مرتبة الرجل إلاّ حد ما خلقت منه وهو الضلع فقصر إدراكها عن حقيقة الرجل.. كذلك المرأة لا تلتحق بدرجة الرجال أبداً مع كونها نقاوة من هذا المختصر.. ولهذا كانت النساء ناقصات العقل عن الرجال؛ لأنهن ما يعقلن إلاّ قدر ما أخذت المرأة من خلق الرجل في أصل النشأة. وأمّا نقصان الدين فيها فإنّ الجزاء على قدر العمل، والعمل لا يكون إلاّ عن علم والعلم على قدر قبول العالم، وقبول العالم على قدر استعداده في أصل نشأته واستعدادها ينقص عن استعداد الرجل؛ لأنّها جزء منه فلا بد أن تتصف المرأة بنقصان الدين عن الرجل"^(١). فالمرأة لأنّها مأخوذة من الرجل فإنّها لا تبلغ مرتبته في الإدراك العقلي فهي فرع عن الرجل في هذا الأمر. وهي تنقص في بعض أمور الدين عن الرجل، وأنّ الرجل أصل وهي فرع كما يرى ابن عربي، ومن ثم فدرجتها في الدين لا تصل إلى درجة الرجل.

ويذكر ابن عربي حين الكلام عن شروط صلاة الجمعة، ذكر أنّها لا تجب على المرأة، وعلل ذلك قائلاً: "ولمّا كانت المرأة ناقصة عقل ودين" فالعقل الذي نقص منها هو عقل الأحذية الذاتية^(٢).. ووجبت الجمعة على الرجل وهو الجمع بين العلم

(١) ابن عربي: الفتوحات، نسخة عبد القادر، ج ٣، ص ٨٧. خالف ابن عربي هنا تفسير النبي ﷺ نفسه في النقصان من ناحية العقل والدين، "لأنّ النبي فسّر نقص دينها بحيضها ونقصان عقلها بأن شهادتها نصف شاهدة الرجل، والدرجة المرادة بقوله تعالى: "وللرجال عليهن درجة" هي القوامة التي جاء بيانها في قوله تعالى: "الرجال قوامون على النساء"، وهي الإمرة والطاعة فيما أمرها الله. (انظر حافظ أنور: ولاية المرأة في الفقه الإسلامي، دار بلنسية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ص ٩٢.

يقول الرازي في هذه المسألة: "اعلم أن فضل الرجل على المرأة أمر معلوم - وهو - أن الرجل أزيد في الفضيلة من النساء في أمور أحدها العقل والثاني في الدية والثالث في المواريث والرابع في صلاحية الإمامة والقضاء والشهادة والخامس له أن يتزوج عليها والسادس أن نصيب الزوج في الميراث منها أكثر من نصيبها في الميراث منه والسادس أن الزوج قادر على تطليقها وإذا طلقها فهو قادر على مراجعتها". (انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج ٦ ص ٨٢).

(٢) ابن عربي: الفتوحات، السفر السابع، ص ٤٧-٤٩.

بتلك الأحدية وبين العلم بكونه "إلهاً" ونقص عقل المرأة عن تلك الأحدية، فلم يجب عليها أن تجمع بينهما وبين العلم بالله من كونه إلهاً^(١).

وإمعاناً في ذكر نقص المرأة في أمور الدين عن الرجل يتخذ ابن عربي من أحد الأحكام الفقهية وهي مسألة الحيض عند النساء والتي لا يصح معها أداء المرأة لبعض من العبادات المفروضة، يتخذ منها، سبباً يتمتع معه أن تكون المرأة على درجة واحدة مع الرجل في مسألة الصلة مع الله تعالى والقرب منه، نظراً لأنَّ اعتراء الحيض للمرأة هو مما يحول بينها وبين العلم الدائم بالله تعالى، على العكس من الرجل الذي يكون علمه دائم بالله تعالى، فقد أكد ابن عربي أنَّ الحيض "صفة تمنع من مناجاة الحق في الصلاة، والمطلوب من العلم بالله القربة، والحال، في الحيض، البعد من الله من حيث تتاجبه. فالمعرفة. بهذه الصفة، تكون معرفة حجابية من الاسم "البعيد"^(٢). وعلى ذلك فإنَّ الرجل الذي ليس هناك مانع يحول بينه وبين مداومة الصلاة يفضل المرأة في الدين.

٨- أنَّ حواء منفعة عن آدم:

"وقد ثبت أنَّ للرجال على النساء درجة وقد ثبت أنَّ خلق السموات والأرض أكبر من خلق النَّاس، وأنَّ أكثر النَّاس لا يعلم ذلك مع الاشتراك في الدلالة والعلامة على وجود المرجح، وقد قال: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾^(٣)، وذكر ما يختص بالسماوات ثم ذكر الأرض ودحيها، وما يختص بها، كل ذلك في معرض التفضيل على الإنسان فوجدنا الدرجة التي فضل بها السماء والأرض على الإنسان هي بعينها التي فضل بها الرجل على المرأة، وهو أنَّ الإنسان منفعل عن السماء والأرض ومولد بينهما منهما، والمنفعل لا يقوى قوة الفاعل لما هو منفعل عنه، كذلك وجدنا حواء منفعة عن

(١) ابن عربي: الفتوحات، السفر السابع، ص ٤٧-٤٩.

(٢) ابن عربي: الفتوحات، السفر الخامس، ص ٢٩٤. لكنَّ ابن عربي هنا تعرض لفئة من النساء قد تقل أو تكثر، بينما هناك فئة أخرى ذهبت عنها هذه الصفة بكبر السن — خاصة شيخاته — تكون كالرجل، لفقدائها الحيض فيجوز إلحاقها به، بعد أن تغربت عن موطن الأنوثة.

(٣) سورة النازعات: الآية ٢٧.

آدم مستخرجة متكوّنة من الضلع القصير فقصرت بذلك أن تلحق بدرجة من انفعلت عنه^(١).

٩- أنها أقل في العلم الإلهي:

يقول ابن عربي تحت عنوان الرجل يزيد على المرأة درجة، بعد أن ذكر الخلاف في جواز التطهر بسوء المرأة: "فأمّا حكم الباطن في ذلك، فأعلم أن الرجل يزيد على المرأة درجة. فإذا اتخذنا دليلاً على العلم بالله، من حيث ما هما رجل وامرأة لا غير، فمن رأى أن لزيادة الدرجة، في الدلالة، فضلاً على من ليست لها تلك الدرجة، نقصه من العلم بذلك القدر. فمن لم يُجزّ الطهارة بذلك، قال: إنّما يدل من كونهما رجلاً وامرأة - أي من كونهما فاعلاً ومنفعلاً - على علم خاص في الإله، وهو العلم بالمؤثر والمؤثر فيه - وهذا يوجد في كل فاعل ومنفعّل - فلا يجوز أن يؤخذ مثل هذا في العلم بالله، ولا يتطهر به القلب من الجهل بالله.

ومن أجازره، قال: جُلُّ المعرفة بالله أن يكون خالقنا وخالق الممكنات كلها. وإذا ثبت افتقارنا إليه، وغناه عنا، فلا نبالي بما فاتنا من العلم به"^(٢).

١٠- وصفه للمرأة بالنقص والرجل بالكمال:

يقول ابن عربي، في حال وقوع الرجل في شبهة أو شهوة، فذكر أن الناقص يغسل أحياناً: "ومن رأى أن المرأة تغسل الرجل وهو غسل الناقص الكامل. فالناقص يظهر الكامل إذا تحقق أن الكامل وقع في شبهة ولا بد"^(٣).

١١- فضل الرجل بالأكمالية والنساء بالكمالية:

يذكر حديث رسول الله ﷺ: "كمل من الرجال كثير، ومن النساء مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون"، فاجتمع الرجال والنساء في درجة الكمال، وفضل الرجال بالأكمالية لا بالكمالية"^(٤).

(١) ابن عربي: الفتوحات، نسخة عبد القادر، ج ٣، ص ٨٧.

(٢) ابن عربي: الفتوحات، السفر ٥، ص ٢٩٣.

(٣) ابن عربي: الفتوحات، سفر ٧، ص ٤٩٧.

(٤) ابن عربي: الفتوحات، نسخة عبد القادر، ج ٣، ص ٨٨.

ومن الواضح أنَّ ابن عربي في هذا التفضيل الذي يعطيه للرجل على المرأة يستند إلى التمييز الذي يكون للرجل في بعض الصفات.

١٢- امرأة نبي الله زكريا ليست بكاملة:

يقول ابن عربي : وقد " تعجبت امرأة إبراهيم عليه السلام حين بشرت بإسحاق عليه السلام فقالت : " يا ويلتا ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب"، وهذا يا ولي إذا نظرته من الأسرار العجيبة، فنتبه له عسى أن تعثر على الفضل بينهما، وذلك أن الله قد أخبرنا عن زكريا عليه السلام بما أخبرنا من امرأة إبراهيم عليه السلام، فشرك بين المرأة والرجل هذا التعجب ، فشرك بينهما في العلم لأن التعجب على قدر العلم، ومعلوم فضل الرجل على المرأة في الميراث والشهادة والصوم والصلاة ، وللرجال عليهن درجة، وهذه المسألة مسألة مفزعة لتعلقها بباب المعرفة، وقد اشترك فيها نبي الله زكريا عليه السلام وامرأته ليست بكاملة " (١).

فأحاله — أي نبي الله زكريا — إلى النظر والاستدلال — في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتَكُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ (٢) — ولم يقل ذلك للمرأة وهي مريم، بل قال لها: ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ (٣)، فإن المرأة تنقص عن الرجل في العلم بالأحدية الذاتية، فلم يكلفها النظر في الجمع بينها وبين العلم بالله من كونه إلهاً، وقال لها ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾، مع أنه متعين على مريم العلم بالأحدية الذاتية وعلم الأحدية الإلهية التي هي أحدية الكثرة، فإنها ممن تحصل له درجة الكمال (٤). وهنا رغم بلوغ مريم درجة الكمال إلا أنها لم تكلف النظر كما كلف نبي الله زكريا.

(١) محمود الغراب: شرح رسالة روح القدس، ص ١٤٧.

(٢) سورة مريم : الآية ١٩.

(٣) سورة مريم : الآية ٢١.

(٤) محمود الغراب: شرح رسالة روح القدس، هامش ١، ص ١٤٨-١٤٩.

المصادر والمراجع

١. ابن عربي: الإنسان الكامل " القطب الغوث الفرد"، جمع وتأليف: محمود محمود الغراب، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٢. ابن عربي : كتاب الباء، المطبعة المنيرية بالأزهر - القاهرة، الطبعة الأولى ١٢٧٤هـ - ١٩٥٤م.
٣. ابن عربي: تاج التراجم، تحقيق وتقديم : سعيد عبد الفتاح ، من مجموع رسائل ابن عربي، الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
٤. ابن عربي: كتاب التدبيرات الإلهية، تحقيق وتقديم : سعيد عبد الفتاح ، من مجموع رسائل ابن عربي، الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
٥. ابن عربي: شجون المسجون وفنون المفتون، اعتنى به : د. عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي.
٦. ابن عربي: شرح معجم اصطلاحات الصوفية، شرح وتدقيق: سعيد هارون عاشور.
٧. ابن عربي: الفتوحات المكية، تحقيق: د. يحيى عثمان، تصدير ومراجعة: د. إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٨. ابن عربي: الفتوحات المكية، نسخة مطابقة لنسخة عبد القادر الجزائري، دار الكتب العربية - القاهرة، (د.ت).
٩. ابن عربي: فصوص الحكم، تحقيق: د. أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
١٠. ابن عربي: القطب والنقباء وعقله المستوفز، ضمن "رسائل ابن عربي"، تحقيق : سعيد عبد الفتاح، ص ٧٤-٧٥.
١١. د. إبراهيم هلال : التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٩م.
١٢. د. أبو العلا عفيفي: التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار المعارف بمصر، ١٩٦٣م.
١٣. د. أحمد الجزار: الفناء والحب الإلهي عند ابن عربي، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٩٠م.

١٤. د. عبد المنعم الحفني: المعجم الصوفي (الكتاب الشامل لألفاظ الصوفية ولغتهم الاصطلاحية ومفاهيمهم ومعاني ذلك ودلالاته)، دار الرشاد، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٥. د. محمد علي حاج يوسف: "شمس المغرب" سيرة الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي ومذهبه، تقديم: رمضان صبحي ديب، فصلت الدراسات والترجمة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٦. د. نصر حامد أبو زيد: هكذا تكلم ابن عربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م.
١٧. الرازي: مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٨. السهروردي "أبو النجيب" (ت ٥٦٣هـ): آداب المريدين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٩. طه عبد الباقي سرور: محي الدين بن عربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٥٥م.
٢٠. على شوكيفيتش: الولاية والنبوة عند الشيخ محيي الدين بن عربي، ترجم من الفرنسية وقدم له: د. أحمد الطيب، دار القبة الزرقاء للنشر والخدمات الثقافية، مراكش - المغرب، (د.ت.).
٢١. القشيري: الرسالة القشيرية، تحقيق ودراسة: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت.).
٢٢. محمود الغراب: شرح رسالة روح القدس، من كلام ابن عربي، دار الإيمان، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٢٣. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.